

سيمياءية العنوان في قصة " متى تتجاوز الغرائز؟ " لإبراهيم بوحميدة

The semiotics of the title in the story "When do instincts transcend?" by Ibrahim Bouhmda

* أ. الزهرة بوطالبي¹

مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب

الجزائر جامعة قاصدي مرباح – ورقلة -

Kasdi Merbah University – Ouargla -algeria

zohradz2266@gmail.com

تاريخ النشر: 30.07.2023	تاريخ القبول: 17.07.2023	تاريخ الإرسال: 12.06.2023
-------------------------	--------------------------	---------------------------

ملخص البحث

يعد الشيخ إبراهيم بوحميدة -رحمه الله - من مواليد غرداية (1921) شخصية أدبية أيقونية إصلاحية منبتها حقن وريدي أبوي لثقافة موسوعية عكستها خصوبة إنتاجية في حقول اللغة والسرد والفكر والترجمة ؛ مبدؤها فاعليته التعليمية في ثانويات العاصمة ، ومنتهاها ديناميته في ميدان الصحافة المكتوبة والمسموعة.

ولعل من أهم مسردياته قصة اجتماعية وسمها " متى تتجاوز الغرائز ؟ " سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية مقارنة العنوان؛ بوابة العملية التواصلية عند معانقة النص، والبحث في علائقه بالنصوص الموازية (المقدمة، التمهيد، الإهداء)، والمتن.

الزهرة بوطالبي zohradz2266@gmail.com *

كلمات مفتاحية: سيميائية ، العنوان، متى تتجاوز، الغرائز ابراهيم، بوحميده

Abstract:

Mister Ibrahim Abu hmida is considered an iconic personality, a descendant of encyclopedic cultural patriarchal genes, which established its cognitive supply that generated didactic and reforming competence, , That is still effectively influencing the Articulation of the community institution to which he belongs, Followed by productivity in the field of literature and journalism. The social story "When the instincts are overcome?" can be the most important among his plays, in which He tackled Mustafa's life scenario in a desert environment through different stations that were a reflection of the society's culture and behavior. Through this intervention we will try to approach the title; the portal of the communicative process when embracing the text, and searching in its relations with the similar texts (the introduction, the preaching) and **the content**.

key words: Semiotics - title - when to exceed - instincts Ibrahim - Bouhmida



مقدمة:

يعد الشيخ إبراهيم بوحميده -رحمه الله - من مواليد غرداية (1921) شخصية أدبية أيقونية إصلاحية منبتها حقن وريدي أبوي لثقافة موسوعية عكستها خصوبة إنتاجية في حقول اللغة والسرد والفكر والترجمة ؛ مبدؤها فاعليته التعليمية في ثانويات العاصمة ، ومنتهاها ديناميته في ميدان الصحافة المكتوبة والمسموعة.

ولعل من أهم مسردياته قصة اجتماعية وسمها " متى تتجاوز الغرائز ؟ " سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية مقارنة العنوان؛ بوابة العملية التواصلية عند معانقة النص، والبحث في علاقته بالنصوص الموازية (المقدمة، التمهيد، الإهداء)، والمتمن.

أولا-ملخص القصة :

طرح الشيخ بوحيمدة حكاية لنمذجة فريدة متأصلة تنتمي إلى مؤسسة مجتمعية صحراوية تجسدها كينونة المعلم مصطفى الذي يمثل بأخلاقه رجل الحضارة ، ناقلا من خلال دورة تجاربه المنجزة مجموع السلوكات السلبية المهيمنة في فضاءه.

وقد شكّل سيناريو حكاية البطل من حلقات متتالية؛ عرضت وقائع زيجاته المتعددة الفاشلة لعليات متغايرة بُني الخيار فيها على الذات و الآخر ، مبيّنا جهوده في الحفاظ على ديمومتها متوسلا بالمشورة والصبر ، إلى أن أشرقت شمس الفلاح بميلاد الزوجة المناسبة (زينب).

ثانيا-سيمائية العنوان في القصة :

تعتبر عتبات النص من مكوناته الأساسية ، بل هي شريك فعال تفرز أكسدتها محلولاً تفاعليا كشافيا ييوح بمقصدية السارد قبل تعاطي المتن .

ف ÷ العتبات لا تعتبر ظواهر طارئة ولا ثانوية بل هي مكون جوهري من مكونات النص الروائي ، شأنها في ذلك شأن باقي المكونات الأخرى التي تدخل في تشكيل لحمة النص¹

و العنوان بوابتها عند تلقف النص فهو ÷ عبارة عن كتلة مطبوعة على صفحة العنوان الحاملة لمصاحبات أخرى مثل اسم الكاتب أو دار النشر ... $2 \times$ حصيلة استنطاقه تومئ باختزال دلالي مركب ؛من تعبير إشاري بصري و لغوي يساعد في إجلاء ضباية النص لأنه ÷ يظهر معنى النص ومعنى الأشياء المحيطة ، فهو يلخص من جهة معنى ما هو مكتوب بين دفتي المؤلف، ويشير من جهة ثانية باقتضاب إلى خارج النص ، وعبره يعلن المؤلف عن نواياه

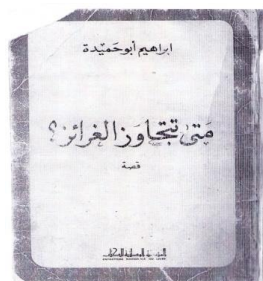
ومقاصده، ومن خلاله يلوح النص بمضمونه دون أن يفصح عنه جملة $\times^3$ لكن الإشكالية هنا كيف يمكننا قراءته كنص مواز قابل للتحليل والتأويل يناص نصه الأصلي ^{4} ؟

نستنتج انطلاقا من المعطيات القبلية ؛ أكسدة عتبات النص نتاجها عملية تفاعلية تكاملية توجه طاقتها لاستفزاز مكانه ، وانتخب العنوان باعتباره مكونا أوليا استهلاليا قناة واصله بين السارد والمتلقي .

و السؤال: ما علاقته بالعتبات الجوارية (الخطاب التقديمي ، الإهداء) ، و المتن في قصة " متى تتجاوز الغرائز ؟ " لأبي حميدة ؟

1- العنوان / العتبات في القصة :

تخير السارد لمسرديته عنوان " متى تتجاوز الغرائز ؟ " لنلاحظ :



ورد العنوان جملة اسمية استفهامية إذا قمنا باستقراء الفضاء الذي شغلته في صفحة الغلاف والصفحة المزيفة موقعا ومساحة نجد ؛ مطابقة في التوزيع باحتلال رتبة مركزية ذات خصيصة ثابتة تنازليا : اسم الكاتب ، العنوان ، علامة التجنيس ، دار النشر .

لكننا نسجل أوجه مغايرة ؛ الأولى عامة تتعلق بتغيير نوع الخط، و الثانية خاصة برسم العنوان الذي رسم في سطر واحد على صفحة الغلاف ،

وانشطر إلى شطرين في الصفحة المزيفة ، أعلاه اسم الاستفهام ،
وآخره الجملة الفعلية. مردوف باستحداث نوع الجنس (قصة اجتماعية
) ،استناداً إلى هذا التمايز في المراتب و نوع الخط ، والتسمية . كيف
سنقرأ العنوان؟

إبراهيم بوحميده



متى تتجاوز الغرائز

يتألف العنوان من : اسم استفهام + فعل مضارع + فاعل (ضمير مستتر) + مفعول به. إن
أردنا التعرف على دلائلية هذه العناصر النحوية نستأنس بالمعطيات المبثوثة في الصفحة ، لنعين
(اسم المؤلف ، العنوان)، ثم نصل بينهما بسهم ، لتحديد العلاقة.

إبراهيم بوحميده



متى تتجاوز الغرائز

إن القاسم المشترك بين الاثنين تبريره ؛ مدرس نحو لدرس عنوانه الاستفهام ،، ترى ما دلالاته
في منتوجه النحوي ؟، يقول في كتابه القواعد الميسرة (في النحو والصرف) : ÷ الاستفهام لغة
طلب الفهم، وفي اصطلاح النحويين سؤال يوجه إلى المخاطب للإجابة عنه⁵

إذن الشيخ بوحميده يوجه السؤال (العنوان). متى تتجاوز الغرائز ؟ إلى القارئ . فما المقصود
بالغرائز ؟ و من هو القارئ الذي عليه تجاوزها؟

لنضع الفرضيات الآتية :

—ربما يقصد ذاته.

- ربما يلمح المجتمع

-ربما يقصد الإنسان العربي

لا مناص أن للعنوان وظائف متعددة ، وقد تتسع لدى هنري ميثران ليشمل الوظيفة التعينية والوظيفة التحريضية (حث فضول المرسل إليه ومناداته)⁶ . أي لفت انتباهه إلى ملفوظ يثير تساؤلات عديدة لاقتراحها بمؤلف معلم مصلح.

حسنا وردت الغريزة في لسان العرب بمعنى : الطبيعة والقريحة والسجية من خير أو شر ، وقال اللحياني هي الأصل والطبيعة. وفي حديث عمر رضي الله عنه : الجبن والجرأة غرائز أي أخلاق وطباع صالحة و رديئة واحدها غريزة . ويقال الزم غرز فلان أي أمره ونهيهِ.⁷

وفي المعجم الفلسفي : غريزة (E.) Instinct (f.) صورة من صور النشاط النفسي وطرز من السلوك يعتمد على الفطرة والوراثة البيولوجية ويقابل الوعي ، والسلوك الغريزي من خصائص الحيوان، وعده بافلوف سلسلة من الأفعال المنعكسة اللامشروطة.

أما السلوك الواعي فهو من خصائص الإنسان ، وينمو تبعا للمؤثرات الاجتماعية والتاريخية ، ويحاول أن يغير الطبيعة على وفق مقاصده.⁸

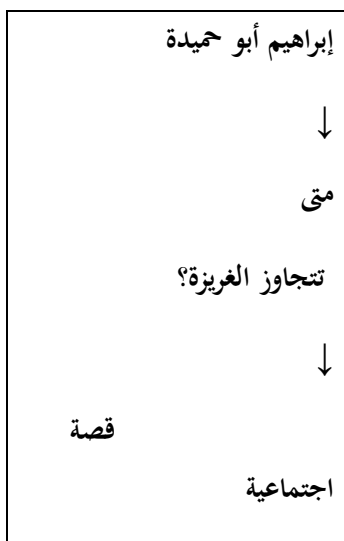
إن الحصيلة المعرفية للمفهومين تؤكد أن الغريزة طبيعة يتقاطع فيها الحيوان و الإنسان ، لكن تمايز الأخير بالوعي يكسبه القدرة على تلوينها بصبغة الخير أو الشر نظير تأثره بعاملي المجتمع والتاريخ..

اتكاء على عوامل التأثير نستنتج أن الغريزة ليست واحدة عند كل الناس ، و منه نتساءل : ما نوع طبيعة المؤلف الدسيسة في صفحة الغلاف؟

يؤكد ميشال فوكو أن حدود أي كتاب لا تتضح ما لم نقارب العنوان ، والكلمات الأخيرة ، وبنيته الداخلية وشكله. لأنها تحيل إلى كتب ونصوص وجمل أخرى.⁹

إن فتشنا مبدئيا عن كلمة غريزة في نص بوحميدة نجد: ÷ فتحرّكت شهامة هذا الأخير ، و
ثارت فيه غريزة الإباء وطلق زوجته غير آسف ولا نادم على ما تحمله من خسارة وعناء ¹⁰ .
رفض البطل الاستمرار في زواجه علىّية الألم الذي برر الإباء والشهامة.

و هنا نعود إلى الغلاف :



نرسم الخط الواصل بين (بوحميدة ، العنوان ، قصة اجتماعية) نحصل على نتيجة ؛ المؤلف
ينتمي إلى مجتمع يتساءل فيه عن زمنية تجاوزه لطبائعه السلبية. لنخلص إلى إحالة ضدية ؛ تكافؤ
بين موقف بطل القصة وبطل الغلاف في نوع الطبيعة .

فإذا كان الأول طلق زوجته واقترب بغيرها ، فإن المؤلف حرّكته طبيعة الإباء فطرح السؤال
دون ندم على نهيه المتواصل عن الرذائل مستنكرا ، متخذاً من الألم مطية للأمل .

وبرهان ذلك نلامسه في عتبة الإهداء ؛ تلك العتبة النصية التي لا تخلو من قصدية سواء في اختيار
المهدي إليه ، أم في اختيار عبارات الإهداء.¹¹ التي خصصها للمتألمين الآملين ، ليضيف في

التمهيد أن الألم يكسب خبرة التمييز بين الصالح والطالح ، ملمحا إلى النقد عبر عمل الصائغ الذي ينص ما أشار إليه ميخائيل نعيمة حين أقرن عمل الناقد الأدبي بعمل الصائغ القادر على التمييز بين الذهب و غيره. والأمانة دعوته الدائمة إلى التمثل بالأخلاق

الفاضلة في منتوجاته؛ مثلا مقاله "خلق جيل صالح" في الجرائد ، لدرجة صارت ميزانا للبشر عنده ؛ إنه يفضل الأمي كريم الطباع عن المثقف غير الخلق .

كما ينصح الكتاب أن يسخروا أعلامهم لما ينفع المجتمع خلقيا وأدبيا و سياسيا واجتماعيا مع تحري الإخلاص و الصدق ، لأنه على قدر العمل تكون النتيجة.¹² حتى يؤثر في زمرة القارئ الذي يتنبأ بإقباله عليه .

إذن الكاتب كما قال جنيت؛ ÷ غالبا ما تكون عنده فكرة عن القارئ الذي يتمنى الحصول عليه والقارئ الذي يريد تجنبه وينتج عن هذه العلاقة تواصل بين المرسل والمرسل إليه. الأول يقترح على الثاني تفسيرات مسبقة لنص لا يعرفه هذا الأخير الشيء الذي يجعل بعض القراء لا يقرأون المقدمة أو يفعلون ذلك بعد قراءة النص ¹³× . لكن ماذا لو كنا ممن يلجون عتبة المقدمة وتقصينا حزمة أوصاف قارئ بوحيدة التي تتلخص في الوعي و إدراك المغازي البعيدة. نضيف إليها ما ذكره قبلًا - في حواراته - خاصيتي التأمل والرغبة في الاستفادة .

إذن القارئ يميز بالوعي القرائي ، والقدرة على فك الشفرات أو المعاني البعيدة. بتطبيق مطلب بوحيدة نقبض على تلميح الكاتب في المقدمة إلى فاعلية تبني الأسلوب القصصي في التعليم ، إذا قمنا بتجميع عنصري (الغريزة) ، وآلية التشفير نحصل على تناصية مع ابن المقفع الذي وظف الأسلوب ذاته في نقد الأوضاع المتعفنة في العصر العباسي

ثم اقتران (العصر العباسي و الغريزة) إحالة موضوعية إلى مالك بن نبي الذي عد الغريزة سببا في انهيار الحضارة. فالخطاب أيضا موجه للعربي. والكاتب واحد منهم ÷ فالفرد الذي تقوم عليه الحضارة لا ينبغي أن يكون فردانيا في تفكيره وتكوينه وفلسفته، وإنما يجب أن يدرك تمام الإدراك

أنه ضمن نسيج اجتماعي قائم على التكامل والتفاعل والإنتاج¹⁴ و بوحميدة مصلح ومربي للأجيال كرس حياته لخدمة المجتمع. و هنا يتبدى لنا طبعاً جديداً تمثله (غريزة الهو) وهي غريزة عليا يملكها الأنقياء الذين يشعرون بالسعادة عند نشر المعرفة والعلم لإفادة الغير.¹⁵

2-العنوان/ المتن:

إن النتائج المحصلة من استنطاق تفاعل العنوان بالعتبات يحتاج إلى تأكيد من خلال قياس نتائجها بمحصول القراءة بعد قراءة النص ؛ لتفادي ما ستسفر عنه القراءة الأفقية (كأن يصير القارئ على قراءة العنوان ثم اسم المؤلف فالتعيين التجنيسي...) من نتائج عكسية، يغدو من المفيد إخضاع هذه العتبات لنتائج القراءة البعيدة¹⁶.

***أنواع الغرائز :** قسم العلماء الغريزة إلى قسمين : الجنسية واللاجنسية. إذا تفحصنا مادة المتن نتوصل إلى أن بوحميدة جاوز الأولى و أوردها تلميحا في موقف ابن عم زينب (خطيبها) الذي اقتنص فرصة غياب الأهل وراود الخادمة عن نفسها لكنها تمنعت ، ليجعله ترميزا للشباب المنبوذ الذي يعد الانحلال حرية وتحضرا.

أما الثانية فتعددت ويمكن طرحها كالاتي :

أ- البقاء : تظهرت في مفاضلة والد مصطفى إنجاب ابن على الفتاة حتى يحمل لقبه ،ويساعده حيا و يخلفه ميتا ÷ المهم أن يكون هذا المولود ابنا x¹⁷ ،لأن مولد الفتاة معرة، وهي طبيعة خاضعة للعرف وقع في شراكها بوحميدة ذاته حينما جعل للبطل ولدين و بنت.

ب- التكبر : مثل لها بنسوة المدينة المتكبرات اللاتي يعتبرن الخادمة أمة يحتقرها ، ولا يعاملنها معاملة الآدميين .عكس أم البطل التي أحسنت لخدمتها وصانتها .و بأولئك المترفين الذين لا تستهويهم الحفلات النزيهة المتواضعة بدعوى الحضارة والتقدم.

ج - الأمومة: و نميز بين نمذجتين في النص ؛نلمسها في أم مصطفى التي كرس حياتها لخدمته، إلى درجة الامتناع عن الأكل والشرب حين سقمه ، وفي زوجته أم أولاده التي كانت تحمل أولادها.

د- النميمة: تظهرت في نجاح محاولات بعض العواذل لإبطال زواج مصطفى من خطيبته بتلفيق المرض مما يؤدي إلى تخريب البيوت.

هـ- الجشع : اهتمام بعض الآباء بالماديات في تزويج بناتهم لا بأخلاق الرجل ، مما يكرس لشيوع ظاهرة العنوسة.

و- السيطرة : نستشعرها في سيطرة أم مصطفى عليه ؛عند تزويجه صغيرا رغم رفضه، برر بوحيدة انسياقه لها بزا وطاعة ، وفي سيطرة صهرة مصطفى على زوجته الأولى مما أدى إلى طلاقها. وسيطرة الأب على الزوجة الثانية رغم أنها متعلمة مبررا خضوعها له خوفا لا برا. والسؤال لم التمس العذر لمصطفى دون زوجته. لاسيما أن البيئة القصصية تبجل الولد على البنت ؟ فأيهما إذن أولى بالانتفاضة الأول أم الثاني. ؟ إلا إذا كان يعرف الأبطال حقا.

ل- الإحسان : فضيلة تقاطع فيها الوالد و ابنه البطل والمؤلف ، كان الوالد صالحا محسنا ، فحفظ الله له ولده ؛ بأن وفر له سبل العيش بعد وفاته رغم

صغره ، وأحسن مصطفى ، فانظر ما قاله بوحيدة عن مشهد فرحة الآخر بزفافه ملخصا :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان¹⁸

وكذلك المؤلف أحسن لتلاميذه و مجتمعه فكوفئ بالإقبال على مردوده الأدبي ومدارسته عبر إحياء ملتقيات على شرفه.

ي- تعدد الزواج : طبيعة مبطنة بين سطور القصة الناقلة لمعاناة البطل في كل زيجاته الفاشلة ، والتي خلصنا منها بنتيجتين : الأولى قد يكون الفشل يعقبه التعدد عليته المرأة لا الرجل مع ضرورة شرط صلاحه ، والثانية يبدو بوحيدة متحاملا على المرأة ميّالا للرجل في أغلب حلقات القصة . باستثناء شخص أم البطل و زينب .

خاتمة :

وفق الشيخ بوحيدة في انتقاء عنوان قصته الاجتماعية التي عنوانها " متى تتجاوز الغرائز ؟ من خلال مدارس علائقه بالعتبات الجوارية (المقدمة ، التمهيد ، الإهداء) نخلص :

- تنتمي القصة إلى الأدب الملتزم الموجه للإصلاح .

- حقق العنوان وظيفة تحريضية غابتها استفزاز فضول القارئ ومناداته من خلال استراتيجية إقران ملفوظ (الغرائز) بمصلح يناص مصلحين سابقين .

- تفاعل عناصر (العنوان ، اسم المؤلف ، علامة التجنيس) تجسيد طبيعة الألم ، وإحالة ضدية ؛ تباين فيها موقف البطل والمؤلف ، وبرهنة ذلك أكسدة هذه المعطيات مع عتبة الإهداء الموجهة أساسا للمتألمين الآملين ، مردوفة بعتبة التمهيد المؤكدة لميلاد الخبرة من الألم .

- إن المحلول التفاعلي الناتج عن مزج عتبي العنوان والإهداء إحالة تناصية مع ميخائيل نعيمة مع مغايرة ؛ نقد أدبي مقابل نقد اجتماعي قوامه الدعوة إلى الأخلاق .

- انطلاقا من توصيف بوحيدة قارئه بالتأمل والقدرة على فك الشفرات ، نقوم بتجميعها مع العنوان والمقدمة نحصل على تناصية مع ابن المقفع في توظيف الأسلوب القصصي التعليمي في العصر العباسي .

- إن اتحاد النتيجة التي تحيل إلى العصر العباسي مع العنوان إحالة تناصية إلى مالك بن نبي .

- الخطاب في العنوان موجه للقارئ والمجتمع والعربي.
- أخضعنا المعطيات الناتجة عن أكسدة العتبات بالنص فلامسنا تناسباً طردياً؛ بل فاقت الأولى الثاني باستنباط طبيعة غير واردة في المتن يختص بها بوحيدة ، وهي غريزة الهو.
- الطبائع المجتمعية المثبوتة في المتن منها ما هو ظاهر ، ومنها ما هو مبطن .
- أخيراً عنوان بوحيدة فريد تمكن من احتواء معطيات النص، وانفرد بمعطيات لا يكشف عنها سوى اجتماعه بالعتبات

-
- 11 - (أشهبون ، 2009 ، ص 9)
- 2 - (بلعابد، 2008 ، ص 67)
- 3 - (الادريسي، 2015، ص 62-63)
- 4 - (ينظر بلعابد، ص 67)
- 5 - (بوحيدة، 2010، ص 27)
- 6 - (بنيس، 2001، ص 107)
- 7 - (ينظر ابن منظور ، ص 4239 -4240)
- 8 - (مجمع اللغة العربية ، 1983 ، ص 132)
- 9 - (أشهبون ، ص 24)
- 10 - (بوحيدة ، ص 107)
- 11 - (ينظر حمداوي، السبت 15 سبتمبر 2012 ، عتبة الإهداء تم استرجاعه في 2017/1/13 من موقع diwanalarab.com)
- 12 - (ينظر الحاج داود ، 1982)
- 13 - (الشاذلي ، 1998 ، ص 49)
- 14 - (ضيف الله ، 2005 ، ص 79)

15 - (عزيز محمد خالد ، الغريزة العليا ، 2018/3/7 . تم استرجاعه في

2018/12/27 من موقع hiragate.com.

3- (أشهبون ،ص 54)

17 - (بوحميذة ،ص 13)

18 - (بوحميذة ،ص 45)

المصادر والمراجع:

- المصادر : مؤلفات إبراهيم بوحميذة

- بوحميذة إبراهيم ، متى تتجاوز الغرائز ؟ ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1986 .

- حوار في الجريدة أجراه نجار الحاج داود ، الأربعاء 25 أوت 1982.

- مقال " خلق جيل صالح " .

المراجع:

- ابن منظور ، لسان العرب ، القاهرة ، دار المعارف.دط - دت.

- الشاذلي السعدية ، مقارنة الخطاب المقدماتي الروائي ، الرباط ، مطبعة المعارف الجديدة ، 1998 .

- أشهبون عبد المالك ، عتبات الكتابة في الرواية ، ط1 ، سوريا ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، 2009 .

- بنيس محمد ، الشعر العربي الحديث ، بنياته و إبدالاتها، ط2 ، الدار البيضاء ، دار توبقال للنشر ، 2001.
- بلعابد عبد الحق ، عتبات (ج جنيت من النص إلى المناص) ، ط1 ، منشورات الاختلاف ، 2008 .
- ضيف الله بشير ، فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي ، الجزائر ، منشورات المجلس ، 2005 .
- البابلي عماد ، بحث حول الغريزة ، 2005/7/22 . تم استرجاعه في 2018/12/28 . من موقع ahewar.org .
- حمداوي جميل، السبت 15 سبتمبر 2012، عتبة الإهداء، تم استرجاعه في 2017/1/13 من موقع diwanalarab.com.
- عزيز محمد خالد ، الغريزة العليا ، 2018/3/7 . تم استرجاعه في 2018/12/27 من موقع hiragate.com.